« انجلترا ، انجلترا العظمى ، وانجلترا الحرة، انجلترا سيدة البحار سوف تتفهم اهدافنا . ويجوز لنا التأكد بأن الفكرة الصهيونية سوف تنطلق من هنا في طيرانها محلقة الى اجواء اعلى وأبعد » .(٧)

فلو اعتبرنا الاستشهادات الواردة اعلاه بمثابة دليل واضح على الطبيعة الحقيقية للمغامرة الصهيونية كمشروع استعماري يسعى للحصول على اعتراف دولي تحت ستار التوازي بين المصالح اليهودية والبريطانية ، لوجب ان يمثل وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ نقطة التحول في الاتجاه الصهيوني والطابع المتأصل للعملية الاستعمارية الصهيونية . اي ان الوعد المذكور يرمز الى تركيز الاهتمام على العطف البريطاني بالنسبة لاقامة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين .

ان البحث عن اعتراف دولي يصبح بحثا ، تحت رعاية بريطانيا وفي ظل انتدابها ، عن تأمين الاكثرية اليهودية داخل فلسطين واستحصال اكبر نسبة ممكنة من اراضيها ، لكي يتم ايواء المستعمرين والمستوطنين العتيدين .

٢ ــ التنفيذ : ١٩١٨ ــ ١٩٤٨

« هنا تقدم الصهيونية الحل لمعضلة مؤلمة . فلو كنا نحن اليهود على استعداد لتوطيد دعائم المركز البريطاني في الشرق الاوسط ، وعلى استعداد للوقوف الى جانب انجلترا في حراسة قناة السويس ، وعلى الطريق الى الهند ، وللحؤول دون طغيان النفوذ الاجنبي والمعادي ، ودون تصادمه مع المصالح الحيوية للامبراطورية ، نكون بذلك قد اسدينا الى انجلترا خدمة تستحق ان تؤخذ بعين الاعتبار المادي » .

(ماكس نوردو : ١٩٢٠)

عندما أدلى ماكس نوردو بهذا البيان الصريح عن الاهداف والاماني الصهيونية ، منذ خمسين عاما ، كانت العملية الاستعمارية التي بلغت ذروتها في قيام اسرائيل قيد التنفيذ ، بينما أضحى التحالف بين الصهيونية وبريطانيا الامبريالية حقيقة ثابتة وراهنة. بيد ان النضال الاكبر في رسم معالم هذا التحالف المصلحي بين الطرفين يرجع الى صهيوني آخر كان صاحب اليد الطولى في ذلك . فالمعلق العسكري في صحيفة « المانشستر غارديان » ــ هربرت سايد بوثام ــ والذي درج على توقيع مقالاته بعبارة « طالب الحرب » ، هو السباق الى ابراز حسنات التحالف المنشود والتنويه بمنافعه .

لقد كتب سايد بوثام مقالاته قبل أن يتبنى بلفور مبدأ الصهيونية (عام ١٩١٦) ، فحاول تعيين الخطوط العريضة للاولويات البريطانية والتوقعات الصهيونية الملازمة لها ، وفعل ذلك من زاوية خلق « دولة عازلة بصورة مثلى » أمام مصر ــ اي اقامة « دولة يهودية في المستقبل تحت رعاية التاج البريطاني وسيطرته » . وعلى اساس الافتراض الرئيسي القائل بأن « فلسطين تؤلف الان ، وفي كل آن، مفتاح مصر » رأى سايد بوثام متطلبات الاستعمار البريطاني في ضوء ما يلي :

« انه لمن الواضح ، اذن ، وقياسا على ما حدث في الهند ، يبدو ان ما نتطلبه لتأمين دفاع افضل عن مصر ، وتخفيف اعباء هذا الدفاع ، هو دولة تؤدي بالنسبة لحدود تلك الوظيفة التي أدتها افغانستان بالنسبة للهند . وبدون ذلك سوف يكون مركزنا الى الجنوب مما يعرف بالامبراطورية التركية الآن في وضع صعب للغاية . فسواء اخذنا ظروفنا السياسية بعين الاعتبار ، أو نظرنا الى الامبراطورية البريطانية من حيث كونها تستند بصورة رئيسية الى السيادة البحرية ، او من زاوية قدرتنا على تطوير قوتنا العسكرية بسرعة لمواجهة الطوارىء المفاجئة ، فان تجربتنا السعيدة في الهند ينبغي تكرارها في المنطقة الجديدة « عبر الهند » .(٨)